المحاضرة السابعة :

المقـــام ـــــــــات

مقامات بديع الزمان الهمداني /مقامات الحريري/ منامات الوهراني.

المقامة إحدى فنون القصص في الأدب العربي النثرية المطعمة أحياناً بالشعر، وقد عرفت منذ العصور الأولى للأدب العربي . فما هي المقامة ؟

أولا - تعريف المقامة:

أ-**لغة** : اسم مكان من أقام ،ثم أطلق على المجلس ،فقيل مقامات الناس أي مجالسهم التي يتحدثون فيها ويتسامرون ، ثم أصبحت تطلق على الحديث الذي يدور في مجالس السمر، قال القلقشندي صاحب صبح الأعشى: وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. فمعنى المقامة في اللغة: المجلس

ب- **اصطلاحا** : هي "حكايات قصيرة خيالية أدبية بليغة، تشتمل كل واحدة منها على حادثة لبطل المقامة يرويها عنه راو معين يغلب عليها أسلوب السجع والبديع وتنتهي بمواعظ أو طرف أو ملح".

هي "حكاية قصيرة تقوم على الحوار بين بطل المقامة وراويها ،كما تقوم على التفنن في الإنشاء، والاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب، بحيث تتقدم على الشعر بمحسناتها اللفظية والبديعية، وتشتمل على كثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والقطع النثرية والأشعار الغريبة في بابها، وتدخل ضمن فن الفكاهة، وهدفها الأساس تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النظم والتفنن في القول"

ثانيا :نشأة فن المقامات وأشهر نماذجه:

أ- نشأة فن المقامات : يذكر أن أول من أنشأ فن المقامات هو العالم اللغوي أبو بكر بن دريد (321 ه) حيث كتب 40 مقامة تحت مسمى : أحاديث ابن دريد ، ولكنها ليست معروفة لنا، ثم جاء بعده أحمد بن فارس (355ه) ثم جاء بديع الزمان الهمذاني وكتب مقاماته الشهيرة حيث تأثر فيها بأستاذه ابن فارس. **إذا فالرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي هو بديع الزمان الهمذاني(خلال القرن الرابع الهجري)**

ثم جاء بعده كتاب كثيرون أشهرهم: الحريري (مقامات الحريري)، الزمخشري (أطواق الذهب) ، السرقسطي الأندلسي (المقامات السرقسطية) ، جلال الدين السيوطي (مقامات السيوطي).

وفي العصر الحديث أنشأ محمد المويلحي (حديث عيسى بن هشام) وناصف اليازجي (مجمع البحرين)

ب-أشهر نماذجه :

ب -1-مقامات بديع الزمان الهمذاني: ألَّف بديع الزمان مقاماته بعد وصوله إلى نيسابور سنة 382 هـ، والمتفق عليه عند كتَّاب التراجم أنها كانت أربعمائة، ولكن لم يبق منها إلا اثنين وخمسين ، ويرى أبو إسحاق الحصري في كتابه "زهر الآداب" أن الهمذاني قد أخذ فكرة مقاماته عن الأربعين حديثا لابن دريد، إذ "لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثا...عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا، وتقطر حسنا" .

تعد المقامات نماذج من القصة القصيرة، التي تحوي «العقدة» وتحليل الشخصيات، كتب الهمذاني مقاماته بأسلوب الراوي، الذي يروي قصة للجمهور، وكان الراوي في مقاماته شخصية خيالية اسمها عيسى بن هشام، ويقص هو بدوره قصصا عن بطل المقامات أبو الفتح الإسكندري، الذي يصول ويجول ويقوم بكل ما هو غير عادي من أعمال الحيلة لكسب المال

إضافة إلى ما سبق ذكره فقد شكلت المقامات عند بديع الزمان مزيجا من الشعر والنثر، استخدم فيها المؤلف كافة أشكال البلاغة الكتابية من سجع وبديع ، فهي صورة بلاغية اجتهد في تزويقها وتنميقها بأرقى الأساليب الكتابية البلاغية، وتتناول أكثرها حال الحياة في ذلك الزمان في بغداد، بينما البعض يصف الحياة في أزمنة سبقت وقت بديع الزمان.

وتتضمن المقامات مناظرات في الدين ومواعظ وأحاجي شعرية، كما تقدم دروسا توعوية للناس لتحميهم من حيل اللصوص والشحاذين المكرة في ذلك الزمان.

جدير بالذكر، أن مقامات الهمذاني أصبحت مدرسة أدبية تبعها العديد من الأدباء الكبار مثل الحريري.

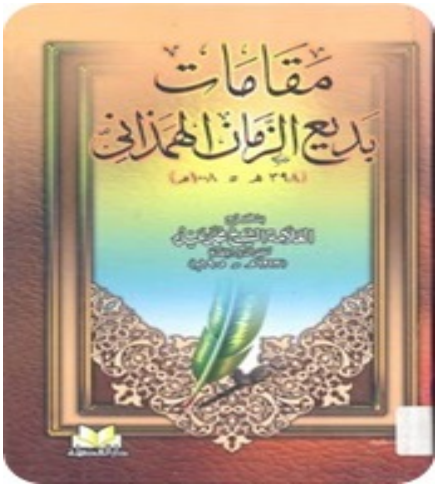

ب-2-مقامات الحريري :هي مقامات أدبية ألفها أَبُو مُحَمَّدْ اَلْقَاسِمْ اَلْحَرِيرِي تلميذ بديع الزمان ، و هي عبارة عن " سلسلة من الحكايات الشعبية تدور حول شخصية خيالية يطلق عليها اسم أبو زيد السروجي وهو شخص يمتلك من البلاغة وحسن الخطاب الكثير والتي يستخدمها في خداع الناس للحصول على الأموال منهم، وتناقش القصص في هذا الإطار الكثير من المواضيع الجادة والهادفة، كما وأنه تنقل صورة بالغة الروعة عن مستوى الحياة في البلاد العربية خلال العصور الوسطى".ويذكر الحريري في مقدمة عمله مقصده بقوله: "أنشأت خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات ووضعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية، والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية." غير أن الصنعة البيانية قد غلبت على القص والحكاية، وزاد من افتتان الناس بها البراعة الفائقة والقدرة الفذة التي كتب بها الحريري هذا العمل.

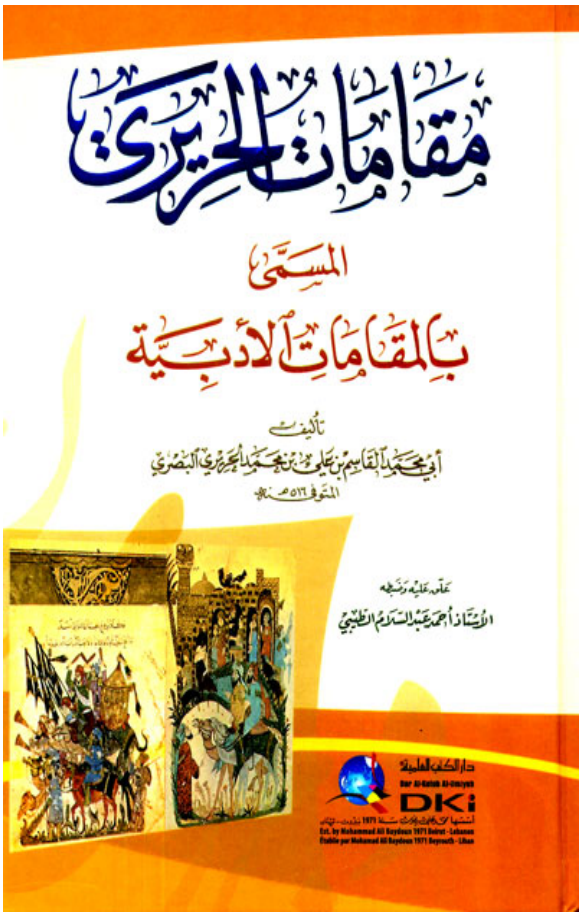

ب-3-منامات الوهراني: هي ثلاثة منامات انتقل فيها المؤلف أبو محرز الوهراني بخياله إلى عوالم مختلفة : عالم الجن والشياطين تارة وعالم الآخرة تارة أخرى ،استخدم المؤلف أسلوبا نثريا جميلا تخللته بعض الأشعار. تعد المنامات أكثر النصوص شهرة ودراسة مقارنة مع باقي فنون النثر الأخرى التي خاض فيها الوهراني، فقد جمع الوهراني في مناماته ألواناً من الأدب والمزاح، أطول المنامات وأشهرها المنام الكبير الذي قال عنه ابن خلكان": وَلَوْ لَمْ يَكنْ لَهُ فِيهَا إلاّ المنامُ الكَبير لَكَفَاهُ، فإنّه أتَى فيهِ بِكُلّ حَلاوَة، وَلَولا طُوله لَذكَرْتُهُ" ، فقد تخيل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت، ومنادياً ينادي: هلموا إلى العرض الأكبر، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، فوجد بها كثيرين ممن عرفه وعاصره من العلماء والفقهاء والشعراء والوزراء والمتصوفين وغيرهم، تحاور مع بعضهم ووجه إليهم انتقادت لاذعة ، وسخر منهم جميعاً وذكر ما حوسبوا عليه ، ويمكن أن ندرج منامات "ابن محرز الوهراني" ضمن مجال الأدب الساخر ،حيث قام بنقد الواقع السياسي والاجتماعي،من أقواله في المنامات : "لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي، وألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي. فما مررت بأمير إلا حللتُ ساحته، واستمطرت راحته، ولا وزير إلا قرعت بابه، وطلبت ثوابه، ولا

بقاض إلا أخذت سيبه، وأفرغت جيبه"

ويبلغ حجم المنام الكبير ثلاثة وخمسين صفحة من الكتاب المجموع، وقد اعتبره الباحث عمر بن قينة أجود نص نثري جزائري ،فقال في ذلك :" إن نص الوهراني من عيون النثر العربي الجزائري، بل هو أجود نص -أدبيا وفكريا- في النثر الجزائري فيما نعلم على أيام الكاتب".

ويعد عبد العزيز الأهواني من المعاصرين الذين استحسنوا كتابات الوهراني، ورأوا فيها تميزا واستثناء في تاريخ النثر العربي القديم، إذ قال في تصدير الكتاب المحقق: «فإن هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي بميزات ترفعها إلى مقام عال. ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتابات الوهراني، من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب، وأسلُوبه يُضيف للنثر العربي ثروة ويفتح للدّارسين آفاقا."

ثالثا : أسباب نشأة المقامة:

- ✓ يشير أغلب النقاد أن الهدف الرئيس من فن المقامات هو تعليمي بحت خاصة إذا علمنا أنّ الهمذاني كان قائماً على مهنة التعليم ، فللمقامات **غاية تعليمية واضحة** إذ يتعلم الناس منها وخاصة الطلاب : **غريب اللغة** والسجع و**فنون البلاغة بصورة تطبيقية سهلة ومحببة** ، كما تزودهم **بذخيرة لغوية مفيدة.**

- ✓ على الرغم من سيطرة البعد التعليمي لكن يمكن أن نلحظ أن المقامات لم تخلُ من استعراض البراعة اللغوية والبلاغية، وتغليب جانب الفصاحة،من جانب المؤلفين ، خصوصا وأن هذا الاستعراض جاء في عصر هيمنت فيه التزويقات والتنميقات و الاهتمام بأشكال الكتابة البديعة وتزيينها، فكان طبيعيا أن يستحدث فن نثري يضاهي هذه الأشكال ويفوقها براعة وقوة وجودة.
- ✓ تبدو العلاقة وثيقة بين كتاب المقامات والخلفاء ومجالسهم ،فالخلفاء كانوا يعقدون مجالس أدبية أشبه بالمنتديات للشعراء والناثرين الذين يتنافسون في إظهار بلاغتهم ، ويمكن أن نستشهد في هذا السياق بالهمذاني الذي "ترك همذان إلى حضرة الصاحب بن عبّاد فتزوّد من آثاره وحسن ثماره"
- ✓ عرف العصر العباسي نوعا من التفاوت الطبقي إذ ظهرت طبقة من الأغنياء الموسرين ،وفي المقابل ظهرت طبقة شعبية كادحة بالكاد توفر لقمة العيش ، في هذا المناخ الاجتماعي كان طبيعيا أن تنتشر ظواهر السرقات والانحراف الأخلاقي وتتفشى أشكال الكدية ،وقد أبرز الدكتور حنّا الفاخوري ذلك في قوله : «إنّ المقامة ثمرة تيارين في الأدب العربي: تيار أدب الحرمان والتسول الذي انتشر في القرن الرابع للهجرة، وتيار أدب الصنعة الذي بلغ به المترسلون مبلغاً بعيداً من التأنق والتعقيد". كما أنه رجح تأثر الهمذاني بالحياة الاجتماعية في إنشاء المقامات، يقول: «كما نستطيع أن نقول إن البديع هذا لم يكن متأثراً حين أنشأ هذه المقامات بأحد من الكُتّاب الذين سبقوه، وإنما كان متأثراً بواقع الحياة العامة: بالبؤس والحرمان والإملاق، تلك الظواهر الاجتماعية التي حملت كثيراً من الناس على التكدي والتسول بمختلف الوسائل والحيل."

ثالثا :أركان المقامة:

المقامة قصة وجيزة أوحكاية قصيرة مبنيةعلى الكدية (الاستعطاء) وعناصرها ثلاثة:

1- الراوي: أو راوية ينقلها عن مجلس تحدث فيه .

2- البطل (أو المكدي/الشحاذ) : تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره، وهو يتكرر في جميع المقامات تماماً كالراوي باسمه وشخصه، فبطل مقامات الهمداني مثلاً هو (أبو الفتح الأسكندري)، وبطل مقامات الحريري هو (أبو زيد السروجي)، وهو شخص خيالي - غالباً - مخادع ينتمي الى شريحة المحتالين الأذكياء البلغاء، الذين يستخدمون الحيلة والفطنة والدهاء في سلب الناس أموالهم، لذا فإن أبرز ميزات البطل الشحاذ هي أن يكون خفي المكر، لين المصانعة، فتيق

اللسان، شديد العارضة، مفوهاً حذاقياً، واسع المعرفة في صنوف الأدب وغريب اللغة وأحكام الدين وصنوف العلم، فهو شاعر وخطيب وواعظ، يتظاهر بالإيمان والزهد ويضمر الفسق والمجون، ويتصنع الجد ويخفي في طياته الهزل، ويظهر غالباً كشخص مسكين متهالك بائس، إلا أنه في واقع الأمر طالب منفعة

3- النكتة (ملحة –عقدة) :

تحاك كل مقامة من المقامات حول نكتة خاصة وفكرة معينة يراد إيصالها عن طريق البطل الشحاذ، وتكون عادة فكرة مستحدثة، أو ملحة مستظرفة، وموضوعات المقامات تكون مختلفة، فمنها ما هو لغوي، أو أدبي، أو بلاغي، ومنها ما هو فقهي ، أو حماسي أو فكاهي، ومنها ما هو خمري أو مجوني، بحيث تترادف المقامات في مواضيع مختلفة خالية من النسق والترتيب أو يكون ترتيبها غير ظاهر الترابط بوضوح، فكل مقامة تعتبر وحدة قصصية قائمة بنفسها تعتمد وحدة المكان غالباً. ويغلب المقامات عادة الفكاهة والملح النادرة.

رابعا: بنية المقامة :

تتشكل المقامة من عناصر أساسية هي :

1- العنوان

2- السند /الإسناد : (حدثنا عيسى بن هشام ...) يوهمنا أن الراوي هو مصدر الحكاية وبأنها قصة واقعية ذات مصداقية ، وهي حقيقة حكاية متخيلة شخصيات وأحداثا .

3- المتن : هو الخطاب السردي يشمل مقومات السرد من مكان وزمان وشخصيات وأحداث ، كما يشمل أنماط السرد من سرد ووصف وحوار ، ويجمع بين الشعر والنثر ، ويكتسي حلة من الزخرف البديعي والأساليب البيانية .

4- الخاتمة الشعرية : هي مقطع شعري يظهر في آخر أغلب المقامات ويغيب عن بعضها (ليست كل المقامات تتوفر على خاتمة شعرية). .

خامسا : خصائص المقامة:

1- تعتمد المقامة في صياغتها وأسلوبها على التزام السجع، والإغراق في الصنعة اللفظية وتوظيف غريب اللغة، والمحسنات البديعية المختلفة لا سيما الجناس منها، وفنون البلاغة المتنوعة من تشبيهات وكنايات واستعارات واقتباس، ومقابلة وموازنة وما الى ذلك، فهي فن تزويق وتأنق لفظي

2- أسلوب المقامة مملوء بالصناعة اللفظية من جناس وطباق والتزام تام بالسجع مما **يسهل حفظها ويجعل القارئ يطرب ويعجب لما فيها من إيقاع لفظي ظاهر**

3- هي مليئة بالقصص والحكم والمواعظ .

4-يغلب على ألفاظها غريب اللغة والألفاظ المعجمة (غير المفهومة) .

5- يختار كاتب المقامات لمقاماته بطلا تدور حوادث المقام حوله ، وراوية يروي تلك الأحداث :

	البطل	الراوي
مقامات بديع الزمان الهمذاني	أبو الفتح الإسكندري	عيسى بن هشام
مقامات الحريري	أبو زيد السروجي	الحارث بن همام

وكلاهما (البطل والراوي) وهمي لا وجود له خارج النص . .

6-غالباً ما **تؤخذ أسماء المقامات من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلسها**، فمن أسماء مقامات الحريري مثلاً: المقامة الصنعانية، المقامة الحلوانية، المقامة الكوفية، المقامة المراغية، المقامة الدمشقية، المقامة البغدادية، المقامة السنجارية، ....، وتختلف المقامات فيما بينها في الطول، فقد تكون طويلة، وقد تكون قصيرة.

مراجع المحاضرة :

- **بطرس البستاني:** أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار الجيل، بيروت – لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، لاتا.

القلقشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه محمّد حسين شمس الدين.، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1407 / 1987.

راحلة نجفي :البناء القصصي في مقامات السرقسطي ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، النجف، العراق، العدد 48.

مريم صاعد واقفي: المقامات الفن العربي الأصيل ، مقال الكتروني : https://www.diwanalarab.com/

زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع.

بطرس البستاني: أدباء العرب.

أبو إسحاق الحُصري القيرواني :زهر الآداب وثمر الألباب ،دار الجيل، بيروت.

بديع الزمان الهمذاني : مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تقديم وشرح محمد عبده، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط3، 2005.

الثعالبي ،أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،تحقيق د. مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية ،بيروت، 1983.

حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ،دار الجيل ،بيروت ، ط1، 1986.

- **ركن الدين محمد بن محرز الوهراني** : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ،تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة عبد العزيز الأهواني، منشورات الجمل، ط1، 1998، ألمانيا .

عمر بن قينة: فن المقامات في الأدب العربي الجزائري، دار المعرفة ، الجزائر .2007 .

Al Maqamat: Beautifully Illustrated Arabic Literaryradition",Tradition 1001inventions., Retrieved 9/9/2021. Edited.

زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع.

ابن خلكان: وفيات الأعيان.